مجلة الجامعة الإسلامية (سلسلة الدراسات الإنسانية) المجلد الخامس عشر، العدد الثاني، ص113- ص138، يونيه 2007
ISSN 1726-6807, http://www.iugaza.edu.ps/ara/research/

أثر القراءات القرآنية في اللهجات الفلسطينية الحديثة

د. عبد الرؤوف خريوش

قسم اللغة العربية – برنامج التربية

جامعة القدس المفتوحة – طولكرم - فلسطين

تاريخ استلام البحث : 2007/2/24م ، **تاريخ قبول البحث** : 2007/5/6م

ملخص: كان القرآن الكريم ومازال مرجع أمة الإسلام بعد وفاة الرسول الكريم – صلى الله عليه وسلم - ، فقد نزل على سبعة أحرف ، هي ما يعرف بالقراءات القرآنية المتواترة عن الرسول الكريم ، وقد اشتملت هذه القراءات على ظواهر لغوية خاصة بلهجات العرب التي كانت سائدة آنذاك ، وامتدت لتصل إلى لهجات العرب اليوم .

وهذه الدراسة تتناول الظواهر الصوتية التي عرفتها القراءات القرآنية ، وما زالت ماثلة إلى اليوم في اللهجات الفلسطينية ، وتستخدم بشكل واسع في إطار العامية على أنها أساليب خاطئة ، وهي في حقيقتها فرع من هذا الامتداد اللغوي العربي المترامي الأطراف في الوطن العربي.

The Effects of Quranic Readings on the Modern Palestinian Dialects

Abstract : The holy *Quran* has been the reference of the *Islamic Ummah* after the death of the *Prophet Muhammad*, peace be upon him. The holy *Quran* was sent down from the all knowing and the most powerful, *Allah*, in the form of seven readings which have been known as the "the seven canonical " readings, that is, they were inherited from a generation to another across the Islamic History. These readings have been included peculiar linguistic phenomena regarding Arabs different accents or dialects that were rampant at that time and expanded to the extent that they reach into the dialects of Arab modern spoken ones nowadays.

This study discusses the phonological phenomena which the *Qurani* readings have been familiar with and which have been used and obvious in the Palestinian accents and dialects and used extensively within the mode of slang or spoken language on the base that they are erroneous linguistic forms, but these linguistic forms are fundamentally a branch of that linguistic historical expansion in the greatly vast Arab home.

مقدمة البحث

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على نبيه الأمين ، ورضي الله عن آله وأصحابه والتابعين إلى يوم الدين ، وبعد

فقـد حظيت القراءات القُرآنية باهتمام المسلمين ، من قرآ ، وعلماء ، ودارسين ، فقد كانوا يقـرؤون القـرآن الكريم بلغاتهم المختلفة ، على يد الرسول الكريم - صلى الله عليه وسلم - ؛ الذي كـان يدارسـه على جبريل ، ويعرضه عليه بصوته كل عام مرة ، حتى سنة وفاته ، فعرضه عليه مرتيـن "(1). وتجـرد عـدد كبـير من علماء المسلمين لخدمة هذا الكتـاب ؛ لما له من مكانة عند المسـلمين ؛ ليكون أساسا جامعا لكل من يتلوه من البشرية جمعاء. وسطروا كل ما جادت به عقولهم وأفكـارهم فـي مؤلفـات ، أصبحت مفخرة المسلميـن ، ومظان الدارسين من بعدهم ، في الدرس والتأليف ؛ فكانت القراءات القرآنية أحد أهم العلوم ، التي دارت حولها الدراسات ، والفت فيها الكتب الكثـيرة ،التـي تحدثـت عن القراء، وطبقاتهم، واللغات التي قرأوا بها والمتأمل في الدرس اللغوي العربـي ، يجـد أن الدراسات اللغوية قد تأثرت تأثراً واضحاً في هذه المؤلفات ، وما يتصل بها من مسـائل أصلت، ورفدت مفردات هذه العلوم ؛ التي سطرها علماء المسلمين ، فدرسوا تأريخ القرآن ، والقـراءات، والقـراء ، وفصلوا فيها ، وميزوا الجيد منها من الشاذ ، وكتبوا في ذلك كتباً ، وأبحاثاً كثيرة .

واتخـذوا مـن حفظة القرآن ، على اختلاف لهجاتهم وقبائلهم ، أساسا لدراستهم ، وأن لغة العرب لم تنحصر في لهجة دون أخرى ، فالقرآن نزل على سبعة أحرف ، كما أشار إلى ذلك النبي – صلى الله عليه وسلم – بقوله : " إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف ، فاقرؤوا ما تيسر منه "(2) ، وفي أحاديث أخرى قال : " أقرأني جبريل على حرف فراجعته ، فلم أزل أستزيد ويزيدني حتى انتهى إلى سبعة أحرف "(3) .

وأكد هذا الاختلاف في القراءات المتواترة الرسول الكريم – صلى الله عليه وسلم – حين احتكم إليه عمر ابن الخطاب (ت 23 هـ) ، وهشام بن حكيم (ت 15هـ) ـ رضي الله عنهما ـ ، في قراءة آيات من سورة الفرقان لدليل على صحة هذا الخلاف ، وشرعية للقراءات القرآنية من الرسول الكريم للقراء (4) . وبذلك تكون كثير من الأساليب اللغوية المستخدمة اليوم في بعض لهجات العرب الحديثة ،من إمالة ، وإدغام ، وإظهار ، وهمز وبلا همز ، وغير ذلك ، هي من اللهجات العربية القديمة ، والقراءات القرآنية ؛ لأن الرسول الكريم قرأ كما قرأ عليه جبريل ، فقرأ الرسول بهذه اللهجات . وهذا يثبت أن معظم أساليب اللهجات الصوتية ، والصرفية ، والنحوية ، والدلالية ،

مستمدة من الأساليب اللغوية العربية القديمة ؛ التي كانت سائدة في قبائل العرب قبل نزول الوحي وبعده .

والمتأمل في هذه الأساليب يجد الكثير منها اليوم مستخدما بشكل واسع ، وأن كثيرا من الأساليب التي نظنها خاطئة ، ما هي إلا فرع من هذا الامتداد اللغوي العربي المترامي الأطراف في جزيرة العرب . وفي هذه الدراسة سنتعرف إلى أثر القراءات القرآنية المتواترة في اللهجات الفلسطينية على المستوى الصوتي.

القراءات القرآنية المتواترة

القراءات القرآنية الصحيحة هي القراءات المتواترة التي أخذت وسمعت من الرسول الكريم مباشرة بصوته ، بطرق نطقية ولهجية مختلفة، تناقلها الصحابة والتابعون جيلا بعد جيل ، عن القراء المشهورين ، إلى أن وصلت إلينا ، وأن تعدد القراءات جاء نتيجة لذلك؛ فالحديث عنها يرتبط بالمراحل الأولى التي تلقى فيها النبي - صلى الله عليه وسلم - آيات التنزيل ، ومن ثم تبليغها للصحابة ، فكان عليه السلام يعلم الصحابة قراءة القرآن ، ويسمع منهم ، ويقرئهم على قراءتهم ، تخفيفاً وتوسعة من الله تعالى عليهم ، ولم يحملهم أمام ذلك الوضع اللغوي المعقد على تعلم نطق لغة قريش ـ التي نزل بها القرآن ـ لقراءة القرآن بها ، وإنما أذن وأباح لهم بقراءة القرآن بوجوه من النطق؛ التي اعتادوها ، و ألفوها ونشأوا عليها ، فالقراءات القرآنية ترتبط بهذا الأصل الذي بينه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأذن للصحابة معه بتلك القراءات ، وأقرهم عليها [5] .

ولإتمام عملية ضبط قراءة القرآن ونطقه ، كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعالج من التنزيل شدةً ، وكان مما يحرك شفتيه ، فقال ابن عباس (ت 65هـ) : فأنا أحركهما لكم كما كان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يحركهما . قال سعيد بن جبير (ت 95هـ): أنا أحركهما كما رأيت ابن عباس يحركهما ، فحرك شفتيه ، فأنزل الله تعالى:{**لا تُحرك بِهِ لِسانَكَ لِتَعجلَ بِهِ ، إن علَينَا جمعه وقُرآنَه***} قال جمعه لك في صدرك وتقرأه{ * **فَإذَا قَرأْنَاه فَاتبِع قُرآنَه** } قال فاستمع له وأنصت{ **ثُم إن علَينَا بيانَه** } ثم إن علينا أن تقرأه ، فكان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بعد ذلك إذا أتاه جبريل استمع ، فإذا انطلق جبريل قرأه النبي صلى الله عليه وسلم كما قرأه " [6].

فالقراءات القرآنية إذاً تواترت بالطريقة المروية المقطوع بها عن النبي الكريم [7] ، وهي التي قرأ بها الرسول الكريم من جبريل ، هي قراءات معتمدة على الصوت ، والنطق ، لا على الكتابة والحرف .

وهي التي اعتمدها القراء السبعة ، وهم : نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم (ت 169 هـ) ، و ابن كثير (عبد الله بن كثير المكي الداري (ت 120 هـ) ، وأبو عمرو بن العلاء التميمي(ت 154هـ) ، وابن عامر (عبد الله بن عامر اليحصبي (ت 118هـ) ، و عاصم بن أبي النجود الكـوفي (ت 128هـ) ، و حمزة (أبو عمارة حمزة بن حبيب الزيات (ت 156هـ) ، و الكسائي (أبو الحسن علي بن حمزة الكوفي (ت 189هـ)

وبذلك اجمع العلماء على عصمة النص القرآني من العبث ،والزيغ والهواء ، وأيقن الباحثون أن النص القرآني نزل به جبريل الأمين على النبي الكريم[8] ، وحددوا القراءات الصحيحة بموافقتها لشروط ثلاثة ، هي : 1- صحة السند . 2- موافقة المصحف العثماني . 3- وأن تكون وافقت أحد وجوه العربية[9]

كما أجمعوا على أن الاختلاف في القراءات القرآنية ، حاصل في الألفاظ المسموعة ، وليس في المعاني المفهومة، وهو ما فهموه من حديث الرسول الكريم ، صلى الله عليه وسلم ، رغم اختلافهم في فهمه ، حين احتكم إليه الصحابيان الجليلان : عمر بن الخطاب ، وهشام بن حكيم رضي الله عنهما بشأن قراءة آية من سورة الفرقان ، وبعد أن أقر قراءتيهما " إن هذا القرآن أنزل على أحرف سبعة ، فأقرءوا ما تيسر منه "[10]

أثر القراءات القرآنية في الظواهر الصوتية للهجات الفلسطينية

أولا : الإدغام

الإدغام لغة إدخال الشيء بالشيء " يقال دغم الغيث الأرض يدغمها إذا غشيها[11] " ويقال أدغمت اللجام في في الفرس إذا أدخلته فيه "[12]. وفي الاصطلاح إدخال حرف في حرف ، يقال : أدغمت الحرف وأدغمته "[13]. وهو أيضا تقريب صوت من صوت[14]. ويرى الخليل بن أحمد (ت 175هـ) أن الإدغام ، هو التشديد " التشديد علامة الإدغام "[15]

ومعنى أدغمت الحرف في الحرف : أدخلته فيه فجعلت لفظه كلفظ الثاني فصارا مثلين ، والأول ساكن ، فلم يكن بد من اللفظ بهما لفظة واحدة [16] ، ويرى السيوطي (عبد الرحمن بن الكمال بن أبي بكر السيوطي ت 911هـ) هو اللفظ بحرفين حرفا كالثاني مشددا ، وينقسم إلى قسمين: كبير وصغير[17] .

وعند المحدثين هو ضرب من التأثير الذي يقع في الأصوات المتجاورة إذا كانت متماثلة أو متقاربة [18]. فهو ظاهرة لغوية تهدف إلى الوصول بالكلمة إلى أقصى درجـات الخفـة والسهـولة [19]. وعده المحدثون من ظواهر المماثلة يفنى فيها الصوتان المتقاربان فناء تاما ؛ لذلك سماها المحدثون بالمماثلة الكاملة[20] .

وقد قسمه علماء اللغة إلى ثلاثة أقسام : 1- إدغام المتماثلين 2- إدغام المتقاربين3– إدغام المتجانسين [21] ، وعليه يكون تأثير الأصوات إما رجعي ؛ ويعني تأثر الصوت الأول بالثاني ؛ وإما وتقدمي ويعني تأثر الصوت الثاني بالأول [22] .

وقد اشتهرت القبائل العربية قديمها وحديثها التي تميل إلى الخفة بالإدغام ، وسنعرض هنا مذاهب القراء في الإدغام ومدى تواجد ذلك في الأساليب اللهجية الفلسطينية الحديثة .

1- الذال مع التاء ، كما في قوله تعال " **اتخَذْتُم** " **{ البقرة** 51} و " **أَخَذْتُم** " { آل عمران 81} و " **لتخَذْتَ عليهِ أجراً** " { الكهف 77} ، والعلة الصوتية في إدغام الذال مع التاء تكمن في عدة أسباب منها : تقارب الحرفين في المخرج ، والثاني جهر الذال يعادله شدة التاء ، وأضاف ابن خالويه (الحسين بن أحمد ، وكنيته عبد الله ، ت 370هـ) المجـانسة سببا في الإدغام [23] والذال مع الجيم ، " **إذْ جآءوكُم** " {الأحزاب 10}، والذال مع الدال ، كقوله تعالى " **ولقَد ذَرأنَا** "{الأعراف179} والذال مع الزاي ، " **ولقَد** زينا ٱلسمآء " {الملك5}، "وهي قراءات نافع وعاصم و ابن عامر ، وحمزة ، وأبي عمرو[24].

وفي اللهجات الفلسطينية نجد تحقيقا لهذه الحالات ، ففي المجتمعات الفلسطينية عامة يدغمون الذال مع التاء فيقولون : (أختّها) و(أتختّها) وفي القسم (والله ما أختّها) بدلا من (أخذتها) و (اتخذتها) ، وهذا لا يتحقق إلا في حالة اتصال الفعل الماضي (أخذ) مع ضمير المتكلم (تاء الفاعل) .

2- الدال مع الضاد ،كما في قوله تعالى " **قَد ضلَلْتُ** " { الأنعام 56} فقد قرأ بها كل من نافع وابن عامر [25]. وعلة الإدغام هنا تتمثل في وحدة المخرج ، وصفة الشدة ، وصفة الجهر ، والسمة التي تميزهما ، هي سمة التفخيم للضاد . والدال مع الثاء ، كقوله تعالى " **يرد ثَواب** "{ آل عمران 145} . والدال مع الجيم ، كقوله تعالي " **قَد جاءكُم** " {النساء 170}. والدال مع الصاد كقوله تعالى " **ولقَد صرفْنَا** " {الإسراء 41} ، ومع الضاد " **مِن بعد ضراء** " {يونس 21}،ومع الظاء " **لقَد ظلَمك** "

{ ص 24 }، ومع السين " **قَد سمِع** " { المجادلة 1}، ومع الشين " **قَد شَغَفها حبا** " {يوسف30} ، ومع الزاي " **ولقَد زينا السماء الدنْيا بِمصابِيح** " { الملك 5} .

3- اللام مع الراء ، في مثل قوله " **بلْ ران** " { المطففين 14}، و" **بلْ رفَعه الله إِلَيه** "{النساء 158} و " **قُلْ رب** " { المؤمنون93}

هذه الأمثلة وغيرها كثيرة في القراءات القرآنية ، فقد تحققت في قراءات نافع ، وحمزة وعاصم ، وأبي عمرو ، والكسائي ، وابن عامر بتفاوت ، نظرا لتفاوت القبائل العربية في الإدغام ما بين نسبي وتخفيف إظهار[26]. هذا التفاوت مرده إلى اختلاف اللهجات العربية القديمة ، فهناك من القبائل العربية ما كانت تميل في كلامها إلى الإدغام ، وهي تميم ، وأسد ، وعبد القيس ، وبكر بن وائل ، وكعب ، ونمير [27]

وقد تحقق هذا في اللهجات الفلسطينية في أساليب لغوية كثيرة مثل : (قضل) بدلا من (قد ضل) ، (قترك) بدلا من (قد ترك) ، و (كتّ) بدلا من (كدت) ، (أخثوابها) بدلا من (أخذ ثوابها) و (زوات الحاج) بدلا من (زوادة الحاج) و(جيجنبها) بدلا من (جئت جنبها) و(حماظهر الدابة) بدلا من (حملت ظهر الدابة) و (اخفزنارها) بدلا من (اخفت زنارها) و (نبتها) بدلا من (نبذتها) .

ويعود استعمال هذه الأمثلة وغيرها بشكل كبير في اللهجات الفلسطينية إلى الامتداد القبلي من الجزيرة العربية إلى بلاد الشام ، في أثناء الفتوحات الإسلامية ، وهو السبب الرئيس في نقل هذه الأساليب ، وانتشارها في اللهجات الفلسطينية ، وبقائها إلى يومنا هذا ، إذا علمنا أن أكثر من كان يدغم من القراء ، هم قراء الكوفة والشام ، مع العلم أن قراءة الإدغام كانت مشهورة ومتفشية بين القراءة [28] .

ثانيا : الإمالة

الحديث عن الإمالة مقترن بالحديث عن ظاهرة الفتح التي هي ضد الإمالة ، أما الإمالة ، فهي تعني " تقريب الألف من الياء إذا كان قبلها كسرة طلبا للخفة " [29] ، وهي أيضا أن تنحو بالفتحة نحو الكسرة ، وبالألف نحو الياء كثيرا ، وهو المحض. ويقال له الاضجاع ، والبطح وربما قيل له الكسر أيضا ، وقليلا بين اللفظين ، ويقال له أيضا التقليل والتلطيف وبين بين [30] ، وبهذا تحول

بالألف عن استوائها ، ويجنح بها إلى الياء ، فيصير مخرجها بين مخرج الألف المفخمة ، وبين مخرج الياء [31] ، وعند الخليل ، هي الإجناح [32] .

والفرق الصوتي بين الإمالة والفتح ، هو أن الألف الممالة صوت لين نصف ضيق ، أما الألف غير الممالة ، في حالة الفتح ، فصوت لين نصف متسع[33] .

وقد ذكر النحاة أن الغرض من الإمالة ،هو تقريب الألف نحو الياء والفتحة نحو الكسرة، فهي لتقريب الصوت من الصوت[34]

ويرى المحدثون أن هناك إمالة من نوع آخر ، وهي أن تنحو بالفتحة نحو الضمة ، والألف نحو الواو ، وقد أشار إليها ابن جني في كتابه سر صناعة الإعراب، وعلل بها كتابة الصلاة ، والزكاة ، وأمثالهما في الخط العثماني بالواو؛ ولكن القراء في إمالتهم ، لم يعنوا إلا بإمالة الفتحة نحو الكسرة؛ لأنها أكثر شيوعا وانتشارا بين القبائل العربية المشهورة ، إلا أن ورش وحسب رواية الأصبهاني قرأ كل ذلك بالفتح المفخمة إذا اكتنفها حرف مطبق ، وحسب رواية البخاري بالكسر[35] ، فهي عندهم ضرب من ضروب التأثر الذي تتعرض له الأصوات حين تتجاور أو تتقارب. وهي والفتح صائتان ، وقد يكونان طويلين أو قصيرين[36].

وفي القراءات القرآنية قسمها العلماء إلى قسمين : شديدة ومتوسطة وكلاهما جائز في القراءة جار في لغة العرب ، عرفته قبائل نجد : تميم أسد وقيس [37] ، ويقابلها المحدثون بحركتي دانيل جونز المعياريتين (e) للإمالة الشديدة ، و(è) للإمالة المتوسطة ، فالشديدة حركة أمامية يرتفع حال النطق بها الجزء الأمامي من اللسان تجاه مقدم الحنك، وهي نصف ضيقة ، يقع اللسان عند نطقها أوطأ بثلاثة أرباع المليمتر عن المكان ؛ الذي يرتفع إليه لغرض نطق الياء المدية ، وتنفرج لها الشفتان ؛ أما المتوسطة ، فهي حركة أمامية كالسابقة نصف متسعة ، يقع اللسان حال النطق بها أوطأ بمليمترين ونصف المليمتر عن المكان الذي يرتفع إليه للياء المدية مع انفراج الشفتين[38].

وقد عرف العرب الإمالة وكثرت في كلامهم ، وهي حسب قول سيبويه تحتل مكان الألف في نطق اللهجات القديمة[39].

ويرى برجستراستر أن الإمالة كانت بقية من أثار ذلك الصوت الرابع الموجود في اللغات السامية القديمة ، ثم فقد بعد ذلك قيمته الفونيمية ،وصار صورة نطقية[40]

ومذهب القراء في الإمالة متباين ومتفاوت في قراءاتهم؛ وأسباب التفاوت تعود لأسباب حدوث الإمالة ، واللهجات ، وهي كما حددها ابن الجزري بعشرة أسباب ترجع لشيئين : أحدهما الكسرة ، والثاني الياء [41]. وفائدتها تكمن في سهولة اللفظ ؛ وذلك أن اللسان يرتفع بالفتح وينحدر بالإمالة ، والانحدار اخف على اللسان من الارتفاع ؛ فلهذا أمال من أمال ؛ أما من فتح فإنه راعى كون الفتح أمتن أو الأصل [42].

وفي اللهجات الفلسطينية الحديثة كما الحال في اللهجات العربية القديمة نجد للإمالة تمثيلا في نطقهم ، وتعبيراتهم الصوتية ، وقد وافق الكثير منها ما جاء في القراءات القرآنية ، ويمكن إجمال ما وافق مظاهر الإمالة عند القراء :

1- إمالة كل ألف منقلبة عن ياء إلى كسرة ، وهي الأشهر في كتب القراءات واللغة [43] ، وهي عند سيبويه إمالتها أذا كان بعدها حرف مكسور، وذلك في قولك : مكاتب ، مسابح، مساجد ، وعند القراء نجد : عالم ومساجد [44] ، وهي قراءة كل من : حمزة ، والكسائي ، وخلف ، فقرءوا: الهوى ، والعمى ، والشوى ، وهي على وزن فَعل[45]. ومما جاء على وزن (فُعل) الهدى ، القرى والنهى والعلى ، ومن أمثلة الإمالة : المولى، مثواكم، ومنه ، ومن ، واليتامى ، وهذا ، ونادى ، واستسقى، وأحيا ، وأحياءكم، وأوصاني بالصلاة ، ونموت ، ونحيا، وغيرها الكثير . وأمالوا كل ألف منقلبة عن ياء سبقتها راء نحو الياء في مثل قرآتهم "**مجريها ومرسِيها** " { هود41} [46].

2- إمالة كل ألف منقلبة عن واو ، في مثل : " دعا ، عصا ، خلا " [47]. وكل ألف هي عين الفعل منقلبة عن واو أو ياء ، في مثل : زاد " **فزادهم الله مرضا** " { البقرة 10} ،و زاغ " " **ما زاغَ البصر** " { النجم 17}، ،و ران " **بلْ ران على قلوبهم** " { المطففين 14}،و خاف " **وأخاف أن يأكْله الذئب** " { يوسف 13} . كما تمال الألف نحو الياء في مثل : باع وكال ، يقول سيبويه : " ومما تمال ألفهم قولهم : كيال وبياع ، وسمعنا بعض من يوثق بعربيته يقول :كيال ،كما ترى فيميل ، وإنما فعلوا هذا لأن قبلها ياء ، فصارت بمنزلة الكسرة التي تكون قبلها ، نحو سراج وجمال" [48].

3- إمالة كل ألف في اسم بعدها راء مكسورة كسر إعراب، أو كسر بناء ، فمما أمالوا ما كانت راءه كسر إعراب في قراءتهم ، مثل دينار ، قنطار ، حمر ، وعند القراء : "**ومن أهل الكِتاب من إن**

تأمنه بقنطار "{ ال عمران 75} ، " **فأصبحوا في دارهم جاثمين** " { الأعراف 78}، والغار في قوله تعالى "**إذ هما في الغار** " { التوبة 40} ، و " **كمثل الحمار**" { الجمعة 5} ، و " **وكل شيء عنده بمقدار**"{ االرعد8} ، و"**الإبكار**" {غافر 55}. و " **جبارين** " { المائدة 22}. (49)

يتضح لنا مما سبق أن الإمالة في القراءات القرآنية كانت تبعا للهجات العرب ؛لذلك اختلفوا في إمالة بعض الآيات القرآنية كما في الراء " **جرف هار** " {التوبة 109} ، فبالإمالة قراءة حمزة والكسائي ، وبالفتح قراءة أبي عمرو وعاصم (50).

ومن أنواع الإمالة التي وردت في أصوات اللهجات الفلسطينية أيضا :

1- إمالة الفتحة إلى الضمة ،كالفتحة في / قول/ فإنها تمال نحو الضمة فتنطق / قُول/ ، والتطور الذي حصل ،حصل في صوت اللين المركب في / قول / (au) تحول إلى سوت لين خالص ، هو الضمة الممالة.وأيضا / لُون / و / ثُوب / و / يوم / بدلا من / لَون / و / ثَوب / و / يوم / .فالإمالة هنا ناتجة عن صوت لين تبع الفتحة ، وهو الواو الساكنة ؛ إذ أميل الصوت المركب (au) إلى صوت لين طويل ، هو الضمة الممالة الطويلة (c)

2- إمالة الكسرة المشوبة بالضمة، وردت في قراءة الكسائي وابن هشام ، وقد أشار اللغويون إلى أن طائفة من العرب كانت تشم الكسرة شيئا من الضمة ، وتشم الياء رائحة الواو (51) كما في قولهم بيع ، وجيب ، و قيم .

3- إمالة السكون إلى الكسر ، كما في صبح بدلا من صبح .

وقد ذكر أبو حيان أن في إمالة الكسر نحو الضم ثلاث لهجات ، هي :

- إخلاص كسر أوله سكون عينه ياء في لهجة قريش ، ومن جاورهم من كنانة .
- إمالة الكسر نحو الضم ،وهي لهجة كثير من طي ، وعقيل ، ومن جاورهم ، وعامة أسد
- إخلاص الضمة ، وهي لهجة هذيل (52).

كما أضاف ابن جني نوعا من الإمالة لم يرد في القراءات، وورد في لهجات العرب قديما وحديثا، وهو إمالة الضمة المشوبة بالكسرة. كأن يمال بمثل / بوع / نحو الكسرة ، وهذه اللهجة أقل اللهجات شهرة وشيوعا (53) .

ثالثا: الهمز

هي عند القدماء صوت من أقصى الحلق ، مجهور ، انفجاري [54]، والهمز يعني في اللغة الغمز ، والهت ، والضغط ، والنبر [55]، وقد قسمها ابن جني إلى ثلاثة أقسام : أصـل ، وبدل ، وزائد ، فالأصل أن تكون فاء الفعل أو عينه أو لامه ، من مثل : أنف ، رأس ، نبأ ؛ وأما البدل : فهو أن يقوم حرف مقام حرف ، إما لضرورة ، وإما استحسانا وصنعة ؛ والزائدة : وهي أن يكون الحرف لا فاء الفعل ولا عينه ولا لامه[56] .

أما عند المحدثين فهي صوت حنجري ، انفجاري ، واتفق معظم المحدثين على أنها بين المنزلتين لا بالمهموسة ولا بالمجهورة " [57] . ويبررون ذلك بانحباس الهمزة وانفتاحها في الحنجرة دون ذبذبة للأوتار الصوتية حينا ، وانفتاح مع ذبذبة فيها حينا آخر؛ ولكن فريقا آخر على رأسهم تمام حسان ، وكانتينو يرون أن الهمزة ، هي صوت مهموس ، ومن المستحيل أن يكون صوتا مجهورا " ولكن النحاة والقراء أخطاوا فعدوا هذا الصوت مجهورا ، وهو أمر مستحيل استحالة مادية ما دامت الأوتار الصوتية مقفلة في أثناء نطقه "[58] .

وقد قسمها القراء إلى قسمين : منفردة ، وهمزتان مجتمعتان في كلمة أو كلمتين [59].

والهمزة المفردة ضربان : ساكنة ، ومتحركة ، والساكنة على ثلاثة أضرب : مضموم ما قبلها نحو (يؤمنون)، مكسور ما قبلها نحو (بِئس)، مفتوح ما قبلها نحو (فأتوهن) [60]؛ والضرب الثاني المتحرك ينقسم إلى قسمين : متحرك قبله متحرك ، ومتحرك قبله ساكن[61]. وقد اختلف القراء في تخفيف الهمز في قراءة المتحرك قبله متحرك[62].

أما الهمزتان المجتمعتان في كلمة وكلمتين ، فتأتي الهمزتان المجتمعتان في كلمة على ضربين : همزة زائدة للاستفهام ، ولغيره ، ولا تكون إلا متحركة ، ولا تكون همزة الاستفهام إلا مفتوحة ، والضرب الثاني أن تأتي الهمزة متحركة ، وساكنة ؛ فالمتحركة همزة القطع ، وهمزة وصل [63] .

أما الهمزتان المجتمعتان في كلمتين فتأتيان على ضربين : متفقتين ومختلفتين ؛ فالأول المتفقتان : على ثلاثة أقسام : متفقتان بالكسر ومتفقتان بالفتح ومتفقتان بالضم [64]، والمختلفتان على خمسة أقسام : مفتوحة ومضمومة ، مفتوحة ومكسورة ، مضمومة ومفتوحة ، مكسورة ومفتوحة ، مضمومة ومكسورة [65].

هذا التقسيم للهمزات حسب ورودها في القراءات القرآنية يعود إلى نسب القراء إلى قبائل العرب ، وانقسام القراء ما بين محقق لها في النطق ، ومخفف يعود إلى اختلاف لهجات العرب ؛ قال أبو زيد : أهل الحجاز ، وهذيل ، وأهل مكة ، والمدينة لا ينبرون [66] .

ويمكن القول أن سبب ما تتسم به الهمزة من صفات الضغط ، والنبر، والهت يعود لاختلاف العرب في نطقها ، فالبدو تحققها ؛ لأنهم يميلون إلى التوافق والانسجام ، وعلى ضد ذلك الحضر، فإن ميلهم للأناة والتؤدة عند الحديث مظهر يوافق طبيعة حياتهم ، ومسلكهم اللغوي[67] .

ولعل امتداد هذا النطق على مدار القرون كان سببا في تغير بعض سماته كما رأينا بين القدماء والمحدثين ، مما جعل الهمزة تحمل سمات تغاير ما كان ينطق بها عند العرب القدماء ، ويمكن أن نلمس التوافق والاختلاف في النطق بين القدماء والمحدثين من خلال القراءات القرآنية الذي وافق بعض ما ينطق في لهجات العرب اليوم .

والمتتبع للهجات العربية في فلسطين يجد أنها قد وافقت بعض أنواع قراءات الهمز في تحقيقها في النطق ، وعدم تحقيقها ، ومن أوجه هذا التوافق في عدم تحقيقها:

أولا : في الهمزتين المجتمعتين في كلمتين ، جاء التوافق بنوعيه في المتفقتين والمختلفتين ؛ فمن أوجه التوافق في الهمزتين المتفقتين في الكسر والفتح دون الضم ، ما ورد في قراءة الكسائي ، وعاصم ، وورش (عثمان بن سعيد بن عدي ت197هـ) ، وأبي جعفر (يزيد بن القعقاع المخزومي المدني 130هـ ، وقيل 127هـ) بتحقيق الأولى وتسهيل الثانية في الأقسام الثلاثة : ففي الكسر قراءة قوله تعالي " **ومن وراء إسحاق يعقوب**" { هود {71}} ؛ وفي الفتح قرأوا قوله تعالى بالتسهيل " **جاء أجلهم**" {الأعراف:34} [68]. نلحظ الاستخدام اللهجي واضحا في تسهيل الهمزة كما جاء ، وتسهيل الهمزتين ، فهمزة : السماء والبناء والمجيء لا تتحقق في النطق اللهجي والاستخدام اليومي للغة في فلسطين.

أما الهمزتان المختلفتان ؛ فنجد التوافق قد تمثل في الهمزة المضمومة المفتوحة كما في قوله تعالى " **آمن السفهاء ألا**" {البقرة:13} ؛ وفي المفتوحة المضمومة ، كما في قوله تعالى " **كل ما جاء أمةً رسولها** "{المؤمنون:44} ؛ وفي المكسورة والمفتوحة كما في قوله تعـالى"**وعاءِ أخيه**" {يوسف:76} [69]. هذا النطق والتسهيل للهمـزة الثانية من قبل بعض القراء كنافع ، وأبي عمرو ، وأبي جعفر ، ورواية ورش[70] ، تبدل وتنطق في اللهجات الفلسطينية ، والقراءات دون التركيز على

ثانيا : الهمزتان المجتمعتان في كلمة واحدة ، جاء التوافق في نطقهما وتسهيلهما ، أو تسهيل أحدهما بين اللهجات الفلسطينية ، والقراءات القرآنية في قوله تعالى " **أَأَنْذَرتَهم** "{البقـرة 6} [(71)] و "**أأعجـمي** "{فصلت 44}[(72)] و " **أآلهتنا** "{الزخرف 58})[(73)]. هذا النطق جاء مسهلا في اللهجات الفلسطينية نطقا، وقراءة ، واستخداما في أحاديث العامة ، فيقولون انذرتهم ، اعجمي ، انتم ، ارباب ، و (إذا جينا) بدلا من (أأذا جئنا) وغير ذلك وهو كثير. فيسهلون نطق الهمزة الثانية كأبي عمرو ، وهشام بن عمار بن صير الدمشقي(ت245 هـ) ، ويحولونها ألفا كما جاء في قراءة ورش [(74)]، ويحذفونها تماما كما في كلمة (لولو)

ثالثا: الهمزة المفردة ، وهو أكثر أنواع الهمـزة توافقا مع اللهجات الفلسطينية ، وخصوصا المتحركة ، ففي الساكنة توافق نطق أهل فلسطين مع قراء القراءات في تحويلها إلى جنس حركتها في قوله تعالى " **إن كُنْتُم مؤْمِنين** "{البقرة 278}و "**يهيئْ**"{الكهف 16} ،و" **اقْرأْ كِتَابك** "{الإسراء 14} ، فقد قرأ أبو جعفر وحمزة وعاصم وغيرهما بدون همـز (يومنون، و هيي ، واقرا كتابك ،) [(75)] ، وغير ذلك من الكلمات التي تضمنت همزة ساكنة وسط الكلمة ، أو أخرها .

ولم يختلف الحال كثيرا مع الهمزة المتحركة ، فقرؤوا "**يؤَدِه إليك**" {آل عمران 75} و "**ربنَا لَا تُؤَاخِذْنَا** " {البقرة 286} و "**اقْرأْ كِتَابك** " {الإسراء 14} و " **فكُلُوه هنِيا مريا** " {النسـاء 4} و"**وَبيـر**" {الحج 45} و "**فَوقَ راسِي** " {يوسف 36} ، وغير ذلك من الكلمات المهموزة المتحركة بالحركات الثلاث : الفتح ، والضم ، والكسر ، فقد تحولت الهمزة إلى ياء ، أو واوا ، أو ألفا حسب قواعد كتابة الهمزة وسط الكلمة .

والمتتبع للقراءات القرآنية يجد أن تحقيق الهمز في القراءات أكثر من إهماله ، وقد وافق نطق اللهجات في نطق الهمزات في كثير من الأماكن في الوطن العربي [(76)] .

الإبدال اللغوي

الإبدال ظاهرة صوتية من ظواهر اللغة العربية ، وسن من سنن العرب في كلامهم[(77)]، ويكون بذلك بإقامة حرف مكان حرف آخر غيره ؛ لدفع الثقل ، إما ضرورة،وإما صنعة،وإما استحسانا[(78)].ولا نعني بالإبدال هنا ،الإبدال الصرفي؛ ولكن ما قصـدناه هو ما قصده علماء العربية ، وهو إقامة حرف مكان حرف مع الإبقاء على بقية الحروف [(79)].وعنى به ابن جني القلب " أصل القلب في الحروف ؛ إنما هو فيما تقارب منها ، وذلك الدال والطاء والتاء ...وغير ذلك مما تدانت

مخارجه [80] . في حين اعتبره الاسترباذي (رضي الدين محمـد بن الحسن ت 688هـ) أعم من القلب " [81] . وحدده ابن السكيت (أبو يوسف يعقوب ت244هـ) بـ " إبدال الحـروف بعضها ببعض " [82].

ولم يختلف تعريف المحدثين له ، فمحمد المبارك يعرفه بقوله : " والإبدال هو إقامة حرف مكان آخر في بعض الكلمات مع بقاء الحروف الأخرى" [83] .

والذي نريده من الإبدال هنا النظر في تبادل الحروف ، وتأثير بعضها في بعض ، كتأثير الصوت المجهور في الصوت المهموس ، والمطبق في المرقق ، والمخالفة والإتباع وغير ذلك ، وقد وضع علماء القراءات هذه القضايا الصوتية تحت مسميات مختلفة ، فمنهم من ذكرها تحت باب " ذكر الحروف المتفرقة واختلافهم فيها "[84] ، ومنهم من ذكرها تحت باب فرش الحـروف واختـلافهم فيها [85] .

وإذا تتبعنا هذه الظاهرة الصوتية في القراءات لوجدنا تأثيرها ماثلا في كثير من لهجات العرب الحديثة ، ومنها الفلسطينية ، ويمكن تتبع هذا التأثير في اللهجات الفلسطينية في المواقف النطقية الآتية :

1 ـ السين والصاد ، كما في الآية الكريمة " **اِهدِنَا الصراط المُستَقِيم**"{الفاتحة 5} ، فقد قرأ حمزة (السراط) بإشمام الصاد الزاي [86] ، وهذا ناتج عن تأثير الصوت المجهور /الراء / في صوت /السين/ المهموس السابق له. ويرى ابن جني أن هذا النوع من التأثر نوعا من الإدغام المصغر " [87]. والصاد التي كالزاي ، فهي التي يقل همسها قليلا ، ويحدث فيها ضرب من الجهر لمضارعتها الزاي، وذلك قولك في يصدر يصدر، وفي قصد قصد "[88] ،وهذا ينطبق على قراءتهم للآية " **ومن أَصدقُ من اللهِ حديثًا**" {النساء 87}

وفي قراءة معظم القراء بالصاد خالصة باستثناء ابن كثير ، فقد قـرأها بالسين في كل القرآن ، [89] ،وهذا ناتج عن تأثير /الراء/ المفخمة في /السين/ المهموسة ، والأصل السين في كلام العرب ،وعليه قلبوها /صادا/ ؛ لتكون مؤاخيةً للسين في الهمس والصفير ، وتواخي الصاد في الإطباق [90]. وإذا جاورت السين قافا ، أبدلت صادا بدلا منها لاستعلاء القاف، و لتقـرب منها ، ولما في الصاد من الاستعلاء ونحوه قولهم في سقر صقر ، وسراط صراط [91]

1- الضاد والظاء ، ويكثر إبدال الضاد بالظاء ، والعكس صحيح ، ففي لهجة القـري والبـوادي

تبدل الظاء بالضاد ، في كل كلمة فيها حرف الضاد تتحول في نطقهم إلى ظاء ، وفي لهجة المدن تبدل كل كلمة فيها حرف الظاء تتحول في نطقهم إلى ضاد ، أو زاي ، وفي القراءات القرآنية قرئت الضاد ظاء كما في قوله تعالى " **وما هو على الْغَيب بِضنِينٍ**" {التكوير 24}، فقد قراها ابن كثير وأبو عمرو والكسائي ورويس بالظاء [92]. وخلافهم في ذلك مرده إلى خلافهم حول معناها في القراءتين (بضنين) و (ظنين) ، فلكل قراءة معنى مختلف تؤديه القراءة ، فالقراءة بالضاد (بضنين) فمن الضنة، وهي البخل ، أي معناها ما هو على الغيب ببخيل .أما القراءة بالظاء(بظنين) فمن الظنة ، وهي الاتهام ، أي ما هو على الغيب بمتهم.

يقول الفراء : " حدثني قيس بن الربيع عن عاصم بن أبي النجود عن ابن حبيش قال : أنتم تقرءون (بضنين) ببخيل ، ونحن نقرأ (بظنين) بمتهم ، وقرأ عاصم وأهل الحجاز وزيد بن ثابت (بضنين) .والذين قالوا : بظنين احتجوا بأن (على) تقوي قولهم ، كما تقول : ما أنت على فلان بمتهم " [93] ، ونحو هذا ذهب الزجاج(أبو إسحاق إبراهيم ـ 311هـ) بقوله: "فمن قرأ بظنين فمعناه ما هو على الغيب بمتهم ، وهو الثقة فيما أداه عن الله جل وعز، يقال ظننت زيداً في معنى اتهمت زيداً ، ومن قرأ (بضنين)، فمعنـاه ما هـو يؤدي عـن الله ويعلم كتـاب الله ." [94] ، على الغيب ببخيل ، أي هو .

ويقول ابن خالويه الأصباني : " قرأ ابن كثير وأبو عمرو والكسائي (بظنين) بالظـاء ، أي : بمتهم ، يقال : بئر ظنين ، إذا كان لا يوثَقُ بها. وقرأ الباقون(بضنين) بالضـاد ، أي : ببخيل، أي ليس بخيل بالوحي بما أنزل الله من القرآن فلا يكتمه أحداً ، تقول العرب: ضننت بالشيء أضن به : إذا بخلت به ، وينشد :

مهلاً أعاذِلُ قد جربتِ مِن خُلُقِي * إني أجود لأقوامٍ وإن ضَنّوا " [95]

ولم يشذ عن هذه المعاني جمهور المفسرين ، وأصحاب كتب علل القراءات [96]، كما أورد أصحاب كتب النظائر بين الظاء والضاد ، ما يؤكد ما ذهب إليه أصحاب كتب التفسير ، ومعاني القرآن، وعلل القراءات . لكن المفيد في الكتب التي اختصت بالحديث عن الظاء والضاد ، هو انفرادها برواية النظائر بشيء من التوسع ، والشمول، والاعتماد على ما قرره علماء اللغة في معجماتهم ، كما أنها أصبحت مضان الدارسين في هذا الباب ؛ لأنها عالجت ما أصاب بعض

المتأخرين من الخلط بين الحرفين في النطق ، مع أن معناهما مختلف في بناء الكلمة ، فوضعت هذه الكتب الضوابط للتفريق بين الحرفين مع ذكر المعاني التي تدل عليها هذه الألفاظ .

يـقول السرقوسي (عثمان بن علي بن عمر ت 570 هـ) " يكون الظن بـمعنى الشك والتهمة ، قال الله تعالى" **ما لهم به من علمٍ إلا اتباع الظن**"{ النساء:157}، "**إن نظن إلا ظنا**" { الجاثية : 32}.واختُلف في سورة التكوير في قوله تعالى " وما هو على الغيب بضنين" فقُرىء بالظاء على معنى التهمة،وقُرىء بالضاد على الْغَيبِ بِضنِين معنى البخيل [97].

ويقول ابن مالك (أبو عبد الله محمد بن عبد الله ت 672 هـ) :"فأما (الضن) بالضاد فمصدر ضن بالشيء ضنّاً وضِنّاً وضنَانَةً ، إذا بخِلَ به وشَح ، وضنين : البخيلُ ، وقُرىء : "وما هو على الغيب بضنين" ، وأما (الظن) بالظاء : التُهمةُ ، وقُرىء "وما هو على الغيب بظنين" ؛ لأنه ليس بظنين ، أي بمتهم ، وكلاهما بالظاء والضاد متوجهان في حق النـبي ببـخيل ولا بمتهم " [98] .

وبهذا يتحصل أن القراءتين ، وإن اختلف لفظهما فلم يتناقض أو يتضاد معناهما ، بل تصدق بعضهما بعضاً ، وكل قراءة تزيد معنى جديداً تكمل القراءة الأخرى . فالمراد بهاتين القراءتين جميعاً هو النبي عليه السلام غير متهم فيما أخبر به عن الله تعالى ، وغير بخيل بتعليم ما علمه الله ، وأنزله إليه فقد انتفى عنه الأمران جميعاً ، فأخبر الله تعالى عنه بهما في القراءتين [99]

1- ضـم الضمير (الهاء) في (عليهم) و (إليهم) ، و (لديهم) ، و (منهم) ، و(عليه) ، و (فـيهم) ، و (فيهـن) وكل ما أشبه ذلك ، من هاء قبلها ياء ساكنة في جميع القرآن. وهي قـراءة حمـزة ورويس (أبي عبد الله محمد بن المتوكل ت 238هـ)، والكسائي [100] والباقون بكسر الضمير (الهاء)[101] ، وهاتان القراءتان منتشرتان في اللهجات الفلسطينية ، فأهل شمال فلسطين على العموم يضمون الضمير ، وأهل الوسط يكسرون .

2- التسكين ، وهي ظاهرة منتشرة بكثرة باللهجات الحديثة ، منها تسكين الواو وتخفيفها في مثل قراءة نافع ، والكسائي ، للواو في مثل " **الذين اشتَروا الضلالة بالهدى** " {البقرة 16 }، و" **فتَمنوا الموتَ** " {البقرة 94} ، و " **وعصوا الرسول**" {النساء 42} . ومنها تسكين هاء (هي) و (هو) إذا اتصل بها واو أو فاء أو لام ، نحو قوله تعالى : "**وهو على كلّ شَيء قَدِير** " {المائدة 120} ، و " **فَهو يخْلِفُه**" {سبا 39} و " **إن هذا لهو القَصص الحقّ**" {آل عمران 62}

وما أشبه حيث وقع [102]. وهي قراءة الكسائي ، وأبو عمرو ، وأبو جعفر (يزيد بن القعقاع المخزومي المدني 130هـ ، وقيل 127هـ). وفي نطق لهجي آخر يسكنون الواو في هذه الضمائر.

4 - الإتباع ، ونعني هنا إتباع الحروف ،وتأثر الأصوات المتجاورة بعضها في بعض، والغاية منه تحقيق الانسجام بين الأصوات ، وهو إعطاء حركة الحرف الأخير من الكلمة حركة الحرف الذي يليه مباشرة ، مثل قراءتهم "**الْحمد لِلهِ رب الْعالمِين**" {الفاتحة 2}، وقد قرئت هذه الآية بضم الدال واللام كقراءة إبراهيم بن أبي عبلة (ت96هـ) ،وضم الدال وكسر اللام ، وهي قراءة الجمهور ، ومنهم من قراها بالنصب كورش ، ونافع ، والحسن البصري ، أتبعوا كسرة الدال لكسرة اللام [103] ، وقد وافقت اللهجات الفلسطينية قراءة الجمهور ، وقراءة ورش ، ونافع بالكسر .وفي القراءتين تأثر ، أحدهما تقدمي ، أثر الأول بالثاني ، وهي قراءة من ضم الدال واللام ، والثاني تأثر رجعي ، أي اثر الثاني بالأول ، وهي لـغة من كسر الـدال والـلام . [104]

5– الحذف ، وهو تأثر صوتي ناتج عن مجاورة أصوات متقاربة في المخرج ، أو متماثلة في السمات ، فتميل بعض اللهجات إلى الحذف [105] ، وقد أتبعه القراء في قراءاتهم ، فمال بعضهم إلى الحذف لتخفيف النطق ، وهذا يتطابق مع نطق بعض اللهجات العربية القديمة والحديثة ، نحو قراءتهم "**تأْمروني**" {الزمر 64} بتخفيف النون لمشددة ، وهي قراءة أبي جعفر ونافع وابن عامر [106]. ومن الحذف كذلك حذف ضمة الطاء ، وإبدالها بالسكون للتخفيف لاستثقالهم توالي الصوائت في قوله تعالى "**ولا تَتبِعوا خُطُواتِ الشيطَان**" {البقرة 168}وهي قراءة نافع ، وأبي عمرو، وعاصم، في حين قرأها الكسائي، وأبو جعفر،وابن عامر بضم الطاء "**خطُوات**" [107]

6- الوقف على التاء المربوطة في الوقف بالهاء ، وهي ظاهرة منتشرة في اللهجات ، ولها اثر في القراءات القرآنية ، وتعني إبدال التاء المربوطة بالهاء عند الوقف ، من مثل قوله تعالى " **ذَاتَ بهجةٍ**" {النمل 60} ، و " **ذاتَ بهجةٍ**" {العلق 18} و " **ابتِغَاء مرضاةِ الله**ِ " {البقرة 207}. وشبهه ، وهي قراءة الكسائي ، وأبي عمرو ، وابن ذكـوان (عبد الله أحمـد بن بشـر ت 242هـ)[108] .

7- الاستنطاء ، وهي جعل العين الساكنة نونا إذا جاورت الطاء ، كأن نقول أنطى بدلا من أعطى ، ولم تعرف العربية من هذه الظاهرة غير هذه الكلمة قديما وحديثا ، يقول الأعشى :

جيادك في القيظ في نعمة تصان الجلال وتنطي الشعيرا [109]

وتعرف بعض لهجات العرب اليوم هذه الظـاهرة ، فهي منتشرة في العراق ، وشمال فلسطين ، وإقليم كردفان في السودان ، وفي صحاري مصر[110] ، وقد فسر عبد الرحمن أيوب هـذه الظاهرة بقوله " إن التوزيع الجغرافي لمواطن النطق بصيغة (أنطى) قديما ، وحديثا تبين أنها كانت توجد على طرق التواصل من الجنوب إلى الشمال [111].

إن القوانين الصوتية لا تقبل مثل هذه الظاهرة ، لعدم وجود توافق صوتي بين صوتي النون والعين ،فصوت النون (لثوي ، أنفي ، مجهور) وصوت العين(حلقي، احتكاكي، مجهور)، وأصل القلب بين الحروف ، إنما هو في تقارب بينها [112]. وعلى ذلك بنى رمضان عبد التواب رأيه حين قال : إن الدراسات الصوتية لا تؤيد قلب العين إلى نون للتباعد بينهم في المخرج والصفات[113]. إن تقارب مخرج النون من الطاء ، قد سهل على الناطقين بهذه اللهجة من نطقهم الفعل أعطى ، والذي يتطلب مجهودا عضليا أكبر من نطقهم الفعل (أنطى) .

ومهما يكن من أمر هذه التفسيرات اللغوية المختلفة ، فإن هذه الظاهرة ، عرفتها قبائل العرب : سعد بكر ، وهذيل والأزد وقيس ، كما عرفتها القراءات القرآنية ، فقد قرأ ها الحسن البصري ، وطلحة بن مصرف بن عمرو ت112هـ) عن حمزة والكسائي ، وابن محيصن (محمد بن عبد الرحمن ت 123هـ) عن أبي عمرو بن العلاء [114] " **إنا أنطيناك الكوثر** " {الكوثر 1}، وهي قراءة الرسول الكريم - صلى الله عليه وسلم - ، قال التبريزي (أبي زكريا يحيى بن علي بن محمد ت 502هـ) : هي لغة للعرب العاربة من أولى قريش ، ومن كلامه صلى الله عليه وسلم : " اليد العليا المنطية واليد السفلى المنطاة "[115] .

من خلال ما تقدم يتبين بشكل جلي أن الاختلاف في القراءات القرآنية ، هو اختلاف تنوع وتغاير ، وليس اختلاف تناقض أو تضاد ، إذ ليس في شيء من القراءات تنافٍ، ولا تضاد ولا تناقض ، ولا تباين ، وإن من مقاصد هذا الاختلاف ، هو التكثير من المعاني في الآية الواحدة ، فكانت كل قراءة تلقي الضوء على جانب معين لم تبينه القراءة الأخرى ، وكأن الموضوع مجموعة

صور لمسجد أو بيت كل صورة تبين أو تزيد شياً جديداً لم تبينه الصورة الأخرى ، مع أن جميع الصور ، هي لمكانٍ واحد .

الخاتمة والنتائج

إن دراسة اللهجات العربية الحديثة ليس من باب دراسة العاميات وتأصيلها ، بل هي من باب معرفة أوجه التوافق والاختلاف مع الفصحى ؛ لردم الهوة القائمة بينها وبين الفصحى، فالهمز ،والتسهيل ، والفتح ، والإمالة ليست من العاميات في شيء ، بل هي مستوى العربية الفصحى ، ولعل دراستها اليوم ، هي من الدراسات اللغوية الحديثة ، التي تحدد كثيرا من ظواهرها اليوم ، ومدى ترابطها وصلتها باللهجات العربية القديمة قبل الإسلام، فهذه اللهجات اليوم ، هي طور من أطوار العربية الممتدة عبر القرون ، عرفت من خلال دراسة مستوياتها المختلفة ، و القراءات القرآنية ، و البلاغية.

وإذا كانت هذه الدراسة قد عقدت من أجل معرفة أثر القراءات القرآنية المتواترة في اللهجات الفلسطينية على المستوى الصوتي ، فإننا لم نتطرق إلى القراءات الشاذة ، لذلك لم نأت على ذكر قراءة كسر حروف المضارعة ،أو المسماة بتلتلة بهراء ؛ حتى لا نخرج عن إجماع أئمة القراءات القرآنية ، ونكون في حدود العربية الفصحى . وعليه ومن خلال هذه الدراسة ، فقد استطعنا التوصل إلى النتائج الآتية:

1 ـ إن موضوع القراءات القرآنية من الموضوعات المهمة في الدرس اللغوي العربي ؛ لأن دراسة هذا الموضوع يكشف الكثير من القضايا اللغوية المهمة: الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية ، ويلقي الضوء على الكثير من الخصائص اللهجية التي اتسمت بها القبائل العربية ، وبهذا تعد مادة القراءات القرآنية وما يتعلق بها من قضايا ، رافداً مهماً من روافد الدرس اللغوي العربي لا يمكن تجاهله أو التقصير فيه ،ولاسيما دارس العربية .

2 ـ تبين من خلال البحث أن علماء المسلمين أجمعوا على أن الاختلاف في القراءات إنما هو اختلاف تنوع وتغاير ، لا اختلاف تضاد وتناقض .

3 ـ اتضح من خلال عرض بعض الاختلاف في القراءات القرآنية ، اثر القراءات في تعدد المعاني واتساعها ، وإن الإكثار من المعاني في الآية الواحدة ، هو مقصد من مقاصد الاختلاف في

القراءات القرآنية ، وهذه القراءات التي يتغاير فيها المعنى كلها حق ، وكل قراءة مع الأخرى بمنزلة الآية مع الآية ، يجب الإيمان بها كلها وإتباع ما تضمنته من المعاني علماً وعملاً. وهذا الموضوع لم يغفل عنه علماء المسلمين ، فكتب التفسير وتوجيه القراءات احتوت على جوانب كثيرة من هذا الموضوع، إلا أنها لم تدرس هذا الموضوع بالشكل الذي عرضناه دراسة استقصائية ، وإنما كانت توضح حجة أو علة كل قراءة ، وتورد بعض الأقوال مبثوثة هنا أو هناك ، كأنها ترجح قراءة على أخرى ، أو تبين العلة من القراءة بهذه اللفظة متجاهلة ـ في الأعم الأغلب ـ الفوائد واللطائف التي تتحقق من خلال الاختلاف في القراءات القرآنية .

لذا أرى من المفيد جمع كل ما يتعلق بهذا الموضوع ، وإفراده بتصنيف يبين المعاني والفوائد واللطائف التي تضمنتها القراءات ، ويبرز جانب الإعجاز في النص القرآني ، بكونه غير قابل للتناقض والتباين والاضطراب على الرغم من تعدد القراءات وتنوعها.

4 ـ إن معظم هذه الاختلافات في القراءات القرآنية ، هي اختلافات نطقية صوتية. عكست ما كانت عليه ألسنة العرب قبل الإسلام ، وبعده ، وأن أي باحث لا يستطيع دراسة اللهجات دون الوقوف عند القراءات القرآنية ودراستها.

5- وجود توافق كبير بين اللهجات الفلسطيني ، والقراءات القرآنية على المستوى الصوتي .مثل الإدغام ، والهمز ، والفتح ، والإمالة ، والإبدال .

6 ـ وجود ظواهر صوتية في اللهجات الفلسطينية عرفتها القبائل العربية القديمة ، وتنسب لها ، خصوصا قبائل : هذيل ، وأسد ، ، وقيس ، وأهل مكة ، والمدينة. وخصوصا التي كانت تسكن وسط الجزيرة العربية ، ومعظمها قبائل بادية ، تميل إلى التخفيف والسرعة في الكلام.

7-تبين لنا أن القراءات القرآنية مردها الأساس هو قراءة الرسول الكريم ـ صلى الله عليه وسلم ـ وليس أساسها ، وتباينها اللهجات العربية .

هوامش البحث

1- البخاري (شيخ الحافظ البخاري ، ت 256هـ) صحيح البخاري ، حديث رقم (4998).
2- المرجع نفسه ، الأحاديث : 4992، 2419، 5041، 6936، 7550.
3- المرجع نفسه ، الأحاديث : 4991 ، 3219 .
4- المرجع نفسه ، حديث رقم 2419 .
5- ابن مجاهد (لأبي بكر أحمد بن موسى ، ت 324 هـ) ، السبعة في القراءات ، تحقيق :الدكتور شوقي ضيف(ت 2005) ، القاهرة : دار المعارف، الطبعة الثالثة ،1988 ، ص 49 ؛ وينظر غانم قدوري الحمد ، محاضرات في علوم القرآن ، بغداد : دار الكتاب للطباعة ، الطبعة الأولى ، 1981م ، ص 109 ؛ وينظر الرافعي (مصطفى صادق ، ت 1937) ،أعجاز القرآن والبلاغة النبوية ، بيروت : دار الكتاب العربي ،1973،ص 51 .
6- صحيح البخاري ، كتاب بدء الوحي ، حديث رقم (5)؛ وانظر محمد أبو زهرة ، أصول الفقه ، القاهرة : مطبعة مخيمر ،1957، ص 75
7- محمد أبو زهرة ، أصول الفقه ، ص 79.
8- محمد الحبش ، القراءات المتواترة، بيروت : دار الفكر المعاصر ؛ ودمشق : دار الفكر العربي ، 1999، ص 24.
9- ابن الجزري (أبو الخير محمد بن محمد الدمشقي ت 833هـ)،النشر في القراءات العشر ، تحقيق علي الضباع ، بيروت : دار الكتب العلمية ، 2002م ، ص ج1 ص 9 .
10 - عبد العال سالم مكرم ،القراءات القرآنية وأثرها في الدراسات النحوية ، بيروت مؤسسة الرسالة ، 1996، ص 23 .
11- ابن يعيش (أبو البقاء يعيش بن علي ت 643هـ) ، شرح المفصل ،بيروت : عالم الكتب (د . ت) ، ج10 ، ص 121؛ و اللسان مادة دغم .
12- ابن دريد (أبو بكر محمد بن الحسن الأزدي ت 321هـ) جمهرة اللغة ، تحقيق عبد السلام هارون ، القاهرة : مكتبة الخانجي (د.ت) ، مادة دغم .
13- ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (دغم) .

14- ابـن جنـي(أبو الفتح عثمان ت 392هـ) الخصائص ، تحقيق محمد علي النجار ، القاهرة : المكتبة العلمية ، طبع بدار الكتب المصرية 2000م، ج2 ، ص139.

15- عـادل العبـيدي، الظواهر الصوتية والصرفية والنحوية في قراءة الجحدري البصري،القاهرة : مكتبة الثقافة الدينية 2005م ، ص 37.

16- مكـي بـن أبي طالب القيسي(ت 437هـ) ، الكشف عن وجوه القراءات ، تحقيق محي الدين رمضان ، بيروت : مؤسسة الرسالة 1981، ج1 ، ص 143.

17 – السـيوطي (الحافظ جلال الدين عبد الرحمن ت 911هـ) ، الإتقان في علوم القرآن ،تحقيق، أحمد بن علي ،القاهرة : دار الحديث ،2004م ج1 ص 277 ؛ والنشر ، ج1 ص 215.

18 - إبراهـيم أنـيس (ت 1977م)، في اللهجات العربية ،ط4 ،القاهرة : مكتبة الأنجلو المصرية، 1973م ، ص 51.

19 – أحمـد علـم الديـن الجنـدي ، اللهجات العربية في التراث ، تونس : الدار العربية للكتاب ، 1978 ، ج1، 314

20 – خليل العطية ، في البحث الصوتي عند العرب ،بغداد : الموسوعة الصغيرة 1983، ص81

21- السيوطي، الإتقان ج1 ص 277 ، وابن الجزري ، النشر ج1 ، 215

22 - عـبده الراجحي، اللهجات العربية في القراءات القرآنية ، الإسكندرية ، دار المعرفة الجامعية ، 1998، ص 126.

23 – ابن خالويه ، الحجة في القراءات السبع ،تحقيق عبد العال سالم مكرم ، بيـروت : دار الشروق ، 1971م ، ص35 .

24 - ابن مجاهد ، السبعة في القراءات ، ص 112- 126

25 – المرجع نفسه ، ص123 و 124

26 - انظـر السـيوطي ، الإتقـان ص 277 – 283، وابـن مجـاهد ،السبعة ص 112 – 124 ، والأصبهاني (أبي بكر احمد بن الحسين بن مهران ت 381 هـ) المبسوط في القراءات العشر ، تحقيق جمال الدين محمد شرف ، طنطا: دار الصحابة للتراث ، 2003م ، ص44 – 50؛ وابن خلـف الأنصـاري (أبي جعفر أحمد بن علي ت 540هـ) الإقناع في القراءات السبع ، تحقيق أحمـد فريد المزيدي ، بيروت : دار الكتب العلمية ، 1999م، ص120 – 166؛ والإمام الداني

(الحـافظ أبي عمرو عثمان بن سعيد ت 444هـ) جامع البيان في القراءات السبع المشهورة ، تحقـيق محمد صدوق الجزائري ، بيروت : دار الكتب العلمية ، 2005 م ، ص 284 – 300 ؛ وابـن الجـزري ، النشـر في القراءات العشر ج1 ص 215 – 234 و ج2 ص3 –18،وعبده الراجحي ، اللهجات العربية في القراءات ص 127.

27 - عبده الراجحي ، اللهجات العربية في القراءات ص 133

28 – المرجع نفسه، ص 131.

29 - ابـن جني ، سر صناعة الإعراب ، تحقيق محمد حسن إسماعيل وزميله ، بيروت : دار الكتب العلمية ، 2000م، ج1 ص 58

30 - ابـن الجـزري ، النشـرج2 ص 24 ،والمـبرد (أبـي العباس محمد بن يزيد ت 285هـ) المـقتضب ، تحقيق محمد عبد الخالق عظيمة ، القاهرة : 1968، وبيروت :عالم الكتب د.ت) ، ج1 ص42

31 - ابن يعيش، شرح المفصل ، ج9 ، ص54.

32 - سيبويه (أبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر ت 180هـ) الكتاب ، تحقيق عبد السلام هارون ، القاهرة : مطبعة المدني ، 1983 ، ج3، ص، 278

33 – خليل العطية ، في البحث الصوتي عند العرب 78،

34 - سيبويه ، الكتاب ج4 ص 117، وابن جني ، الخصائص ج2 ص 141، ؛ وابن الأنباري (كمال الديـن أبـي البركات عبد الرحمن ت 577هـ)، أسرار العربية ، تحقيق محمد بهجت البيطار، دمشق:مطبعة الرخى، 1957، 160

35 - إبراهيم أنيس اللهجات 65 ،66 ؛ والأصباني ، المبسوط في القراءات العشر ، ص 56

36 - عبده الراجحي ،للهجات العربية في القراءات القرآنية ص 134 .

37 - ابن الجزري ، النشر ج2 ص 24

38- مـي الجـبوري ، القراءات القرآنية بين الدرس الصوتي القديم والحديث ، بغداد ، دار الشؤون الثقافـية، 200، ص 119 ، وغالـب فاضل المطلبي ، في الأصوات اللغوية دراسة في أصوات المد العربية ، بغداد: دار الحرية للطباعة، 1984، ص 163 .

39 - غالب المطلبي، في الأصوات اللغوية دراسة في أصوات المد العربية 166.

40 - برجشترايسر، التطور النحوي ، ترجمة رمضان عبد التواب ، الرياض : 1982 ،34 ،39
41 – النشر ، ج2، ص 25
42 - السيوطي، الإتقان ج1 ص 273
43 - خليل عساكر (ت ، مجلة مجمع اللغة العربية ، القاهرة ج8 ص 182 ؛ وعبد الرؤوف خريوش ، اللهجات الفلسطينية ، دراسة صوتية ،عمان : دار أسامة ، 2004 ص 159
44 – سيبويه،الكتاب ج4 ص 117
45 – ابن خلف الأنصاري ، الإقناع في القراءات السبع ص173 ، 178 ،والأصبهاني المبسوط ص 58
46 – ابن الجزري ، النشر ج2 ص 28 ، والأنصاري ،الإقناع ص176 – 180 ، والأصفهاني المبسوط ، ص 57-60
47 - ابن الجزري،النشر ج2 ص 28 ،والأنصاري،الإقناع ص176- 180
48 – سيبويه ، الكتاب ج4 ص 121 ، والأنصاري ،الإقناع ص 155
49 – الأصبهاني ، المبسوط ص 55 – 58 ، والأنصاري ، الإقناع ص 168 – 171
50 – ابن خالوية ، الحجة في القراءات السبع ، ج5 ص 366
51 - سيبويه ، الكتاب ، ج2 ص 360
52 – عبده الراجحي ، اللهجات العربية في القراءات القرآنية ،ص 141
53 - إبراهيم أنيس ، اللهجات ص 69
54 - سيبويه ، الكتاب ج 4 ص 433 ، 434
55 - عبد القادر عبد الجليل ، علم اللسانيات الحديثة ،عمان : دار صفاء للنشر والتوزيع ، 2002، ص 365 ؛ أبو زيد الأنصاري (سعيد بن أوس ، ت 215هـ)، الهمز ، تحقيق خليل إبراهيم العطية ، البصرة: 1990 ، ص32
56 - ابن جني ، سر صناعة الإعراب ج 1 ص 83
57 - كمال بشر ، علم اللغة العام (الأصوات) ص 188
58 – تمام حسان ، مناهج البحث في اللغة ، الدار البيضاء : دار الثقافة، 1979، ص 125، وجان كانتينو ، دروس ي علم أصوات العربية ، ترجمة صالح القرمادي، تونس : 1966 ، ص 27

59 – ابـن الجـزري ، النشر ج1 ص 303،282، ،والأنصاري ، الإقناع في القراءات السبع، ص 223 ، 240

60 – ابن الجزري ، النشر ج1 ص303

61 – المرجع نفسه ، ج1 ص 307

62 – المرجع نفسه والصفحة نفسها

63 – المرجع نفسه ، ج1 ص 282

64 – المرجع نفسه، ج1 ص 296

65 – المرجع نفسه، ج1 ص 301) .

66 - لسان العرب ،الهمزة ، ج1 ص 28

67 - أبو زيد الأنصاري ، الهمز ، ص 33

68 – انظـر ابـن الجزري ، النشر ج1 ، ص 296 ، 297 ؛ و الأصفهاني ، المبسوط ص 65 ؛ والأنصاري ، الإقناع 235 – 238

69 – ابـن الجـزري ، النشـر ج1 ص 300 – 302، والأنصـاري ، الإقناع ص 238 – 239 ، والأصفهاني ، المبسوط ص 64 – 65

70 - انظر ابن الجزري ، النشر ج1 ص 300

71 – ابن الجزري ، النشر ، ج1 ص 282 ،والأصبهاني ، المبسوط ص 63 ،والأنصاري ، الإقناع 224

72 – ابن الجزري ، النشر ، ح1 ، ص 285 ، والأصبهاني ، المبسوط ص 63 ، والأنصاري ، الإقناع 226

73 – ابن الجزري ، النشر ، 284 ،والأصبهاني ، المبسوط 63 ، والأنصاري،الإقناع ،ص 228

74 – الأنصاري ، الإقناع ، ص 225

75 – الأصبهاني ، المبسوط ، ص 51 ، و النشر 303 – 306

76 - انظر عبده الراجحي ، اللهجات العربية في القراءات القرآنية ص 105

77 - سـيبويه ، ج4 ص 479 ،ابـن فارس (أبو الحسين أحمد (ت 395هـ) ، الصـاحبي في فقه اللغة ، تحقيق مصطفى الشويمي ، بيروت : مؤسسة بدران ، 1963، 333

78 – ابن يعيش ، شرح المفصل ، ج10 ، ص 7

79 - أبـو الطيـب(عـبد الواحـد بن علـي اللغوي الحلبي ت351هـ)،الإبدال، تحقيق عز الدين التنوخي ، دمشق : المجمع العلمي العربي ، 1960، ج1 ص 9

80 - ابن جني ، سر صناعة الإعراب ج 1 ،197

81 - الأسـترباذي (رضي الدين محمد بن الحسن (ت 688هـ) ، شرح شافية ابن الحاجب تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد وآخرون ، بيروت : دار الكتب العلمية ، 1975، ص 418

82 – ابـن السكيت (أبو يوسف يعقوب ت 244هـ) الإبدال ، تحقيق حسين محمد شرف : القاهرة : الهيئة الأميرية ، 1978 ، 34

83 - محمد المبارك ، فقه اللغة وخصائص العربية،بيروت : دار الفكر ، 1968، ص66

84 – الداني ، جامع البيان ص 387، والأصبهاني ، المبسوط ص 41

85 – ابن الجزري ، النشر ، ج 2 ص 151 ، و الأنصاري ، الإقناع ص 370

86 – ابن الجزري ، النشر ، ج1 ص 213،والداني ، جامع البيان ص 156

87 – ابن جني ، الخصائص ، ج 2 ص 139 – 144

88 – ابن جني ، سر صناعة الإعراب ، ج1 ص 65

89 – الداني ، جامع البيان ، ص 156

90 – الأنصاري ، الإقناع ، ص 321، وابن خالويه الأصبهاني (أبو جعفر محمد بن أحمد بن نصر ت 603هـ ـ) إعراب القراءات السبع ، حققه أبو محمد الأسيوطي ، بيروت: دار الكتب العلمية، 2006 ، ص 37

91 – ابن جني ، سر صناعة الإعراب ، ج1 ص223 .

92 – الأنصاري ، الإقناع، ص 481 ، وابن الجزري ، النشر ج2 ص 298

93 – الفـراء (ابو زكريا يحيى بن زياد الديلمي ت 207هـ) ، معاني القرآن ، تحقيق أحمد نجاتي ومحمد علي النجار ، بيروت : عالم الكتب ، ط2 ، 1983 ، ج243/3

94 – الـزجاج (أبـو لإسحاق إبراهيم ـ 311هـ)، معاني القرآن وإعرابه، تحقيق عبد الجليل عبده الشلبي، بيروت : عالم الكتب ، 1988، 293/5

95 – ابن خالويه الأصبهاني ، إعراب القراءات السبع ، ص 494

96 - أبو حيان الأندلس (اثر الدين محمد بن يوسف بن علي ت 745هـ)، البحر المحيط ، تحقيق ، عبد الرزاق المهدي ، بيروت : دار إحياء التراث العربي ، 2002 ، ج8،ص 606

97 – السرقوسـي (سـليمان بن أبي القاسم ، توفي في القرن السادس الهجري)، ظاءات القرآن ، تحقيق صالح الضامن، بغداد: 1989، ص 317

98 – ابن مالك (جمال الدين محمد بن مالك (ت 672هـ) ، الاعتماد في نظائر الظاء والضاد ،ط3 تحقيق : الدكتور حاتم الضامن ، بيروت : مؤسسة الرسالة ، 1985م، ص 38 ، 39

99 – الداني ، الأحرف السبعة ، ط1 ، تحقيق : عبد المهيمن طحان ، مكة المكرمة : مكتبة المنارة ، 1988م ، ص 49

100 – الأصبهاني ، المبسوط ،ص 42 ، والأنصاري ، الإقناع 370، وابن الجزري ، النشر ج1 ، ص 214

101- الأنصاري ، الإقناع ، ص 370

102 – الداني ، جامع البيان ، 390

103 – ابو حيان ، البحر المحيط ، ج1 ص 31، والداني ، جامع البيان ص 155

104 - عبده الراجحي ، اللهجات العربية في القراءات القرآنية ، ص 153

105 – المرجع نفسه ، الصفحة نفسها.

106 – الأصبهاني ، المبسوط ، ص 236 ، والأنصاري ، جامع البيان ، ص 699 ، 700

107 – الأصبهاني ، المبسوط ، ص 75 ، والداني ، جامع البيان ، ص 412،والأنصاري الإقناع ، ص 378

108 – الأنصاري ، الإقناع ، 322 ، والداني ، جامع البيان ص 368.

109 - الأعشى ، الديوان ص 99

110 - رمضـان عبد التواب ، فصول في فقه اللغة العربية ، القاهرة : مكتبة الخانجي 1983 ، ص 121، وانظر حفني ناصيف ، مميزات لغات العرب، القاهرة :1957، ص13)

111 - عبد الرحمن أيوب ، العربية ولهجاتها ، القاهرة : معهد البحوث والدرسات العربية ، 1968، ص51

112 - ابن جني ، سر صناعة الإعراب ج1

113 - رمضان عبد التواب ، فصول في فقه اللغة العربية ، القاهرة: مكتبة الخانجي ، ص 122

114 – أبو حيان ، البحر المحيط ، ج8 ، ص 740 ، والأنصاري ، الإقناع ص 59 ، 91

115 – أبو حيان ، البحر المحيط ، ج8 ، ص 740.